النزعة الخطابية في شعر الخوارج دراسة في ضوء النقد الثقافي

د. آلاء محسن الحسني، جامعة المثنى ، العراق

ملخّـــص

تقدّم هذه الدراسة تصوّراً جديداً للنص الشعري الخارجي ، انطلاقاً من أطروحات التحليل الثقافي التي تهدف إلي الكشف عن الأنساق المضمرة ووظيفتها في البنية النصية للنصوص الأدبية .

ولما كانت بنية شعر الخوارج تتضمن العديد من المضمرات النسقية التي تتعلق بنظرة الشاعر الخارجي تجاه المجتمع أو العصر الاموي – الذي انفرد عن غيره من العصور بالصبغة السياسية المتمثلة بظهور الاحزاب ومنها الخوارج الذين تعرضوا لأنواع من الضغط النفسي والسياسي بوصفهم خارجتن عن الدين مما انعكس على شعرهم – ، فإنّ الكشف عن هذه الأنساق المضمرة تحليلاً ثقافياً عميقاً يبتن طبيعة الموضوعات التي يمكن ان تنتجها هذه الأنساق .

إن استبطان شعر الخوارج بمنحه ميزة التعدد القرائي والتأويل الثقافي، وهذا بدوره سيسهم في فهم الأبعاد المعرفية للمجتمع الأموي، لاسيما اذا علمنا أن المجتمع الأموي قد دخل في معارك حربية، ونزاعات قبلية، وفي مخاصمات أدبية وشعرية، عكست كلها ثقافتها ومفهوماتها على الشعر وتوهجه .

انطلاقاً من التركيز على قيمة النسق المضمر وفاعليته داخل النص الشعري، فإن الدراسة ستنتظم في تمهيد ومبحثتن . أما التمهيد فيتعلق بقراءة الأنساق في النصوص الشعرية وفق رؤية مغايرة لما هو متعارف عليه في النقد الثقافي الذي – كما يرى بعض الدارستن – يتخذ من الجمالي وسيلة شكلية لإضمار القبيح ومن ثم فهو يهتم بإظهار القبحيات فقط ، في حتن تهتم هذه الدراسة بإظهار الجمالي واللاجمالي . وتتناول الباحثة بالدراسة والتحليل في المبحث الأول (مركزية النسق الضدي في البناء الشعري) من خلال الثنائيات الضدية التالية :

1 – ثنائية الحيـــاة والموت.
2 – ثنائية الحضور والغياب.
3 – ثنائية الأنـــا والآخر .

أما المبحث الثالث فيناقش (مركزية النسق الضدي في الموضوع الشعري) من خلال الموضوعات التالية :

1 – صراع الانسان مع الزمن (ثنائية الماضي والحاضر.)
2 – صراع الانسان مع الانســـــــــــــــان ويشمل :
أ– فوقية الانثى ودونية الفحل.
ب– فوقية الفحل ودونية الانثى.
3 – صراع الانسان مع المكان (طللية المكان وثقافة الحنتن) .

Abstract

This study provides is a new conception of the poetic text outside, on the basis of theses cultural analysis, which aims to detect patterns implicit in the structure and function of the text of literary texts.

Since the structure of the hair Kharijites is includes many Alamadmrat systemic concerning glance poet external to the community or the Umayyad period - which alone from other eras the political character of the emergence of political parties, including the Kharijites, who were exposed to the types of psychological pressure and by these patterns.political as outlaws religion which is reflected in their hair -, the detection of these patterns requires implicit analysis shows the deep cultural nature of the issues that can be produced .

Form format diodes antibody in poetic discourse in general and in outer hair especially prominent feature adds text shipment art by creating shifts with an attribute Tnavria combine contradictions in the contexts of innovative technical, have tried poets Kharijites that the use of these diodes in an orderly and non-random in order to stand on its functions Tagged and aesthetic Vtaamiloa with them to see depth, as encountered poet external binaries life in all its tribulations and Jdlyatea, try to establish a vision explains in which the reasons for leaving and rebellion on the legality and law and order, and the nature of his life and where of the movement and transformation, through conflict existential between worlds and things disparate.

المقدمـــــة :

هذه دراسة في التحليل الثقافي لشعر الخوارج ، تهتم فيها الباحثة بدراسة الجمالي والثقافي في النص الشعري الخارجي ، اعتماداً على « إن الشعري أو الجمالي في الشعر العربي، عدا عن كونه ميزة فيه هو مندمج في الفكري والإنساني والحضاري، ومنصهر فيه على نحو جدلي يصعب فصله»[1] ، إذ يتم في النص الشعري « صهر البعدين الجمالي والثقافي في بعد واحد معاً من حيث أن الثقافي ظرفي في حين أن الجمالي غير ظرفي. »[2]

إن التحليل الثقافي أو التاريخانية الجديدة – كما يسميها ستيفن غرينبلات- هو احدى الافرازات النقدية لمرحلة ما بعد البنيوية [3]، وانطلاقاً من أطروحات هذا المنهج

النقدي فإن الدراسة تهدف إلى قراءة شعر الخوارج ومن ثم تأويل شفراته النسقية المضمرة ، بوصفه واقعة ثقافية يتعانق فيها الجمالي (الخيال) مع الثقافي (الواقع) وتتفاعل فيها الذات الشاعرة مع واقعها الثقافي وتجربتها الانسانية .

لقد واجه شعراء الخوارج واقعاً خاصاً تسوده الحرب بكل اشكالياتها ، وهو ما انعكس على شعرهم ، «فهو شعر ثوّار ترافقهم السيوف في غدوهم ورواحهم وفي استقرارهم وترحالهم. وقد استعذبوا الموت غير آبهين بالحياة الدنيا، ومن ثم كان شعرهم في جملته حماسياً، وهي حماسة لا تحركها العصبيات القديمة، عصبيات القبيلة التي كانت تقوم على الأخذ بالثأر، وإنما تحركها عصبية حديثة لعقيدتهم السياسية التي تعمقتهم مؤمنين بأنها تطابق تعاليم الدين الحنيف وأن عليهم ان يجاهدوا في سبيلها مخلصين، حتى يفوزوا برضا الله وثوابه. »[4]

لقد ذكرنا في موضع سابق أن هذه الدراسة ترمي إلى البحث عن الجمالي واللاجمالي في الشعر الخارجي ، وهو ما لا يتفق مع ما يراه بعض الدارسين ممن يذهبون الى إن وظيفة النقد الثقافي تتمثل في الكشف عن القبحيات بدلاً من التركيز على الجماليات ، وهو ما يراه عبد الله الغذامي في كتابه (النقد الثقافي / قراءة في الأنساق الثقافية العربية) ، إذ يقول عن النقد الثقافي « والنقد الثقافي فرع من فروع النقد النصوصي العام، ومن ثم فهو احد علوم اللغة وحقول الالسنية معني بنقد الانساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغه، ما هو غير رسمي وغير مؤسساتي وما هو كذلك سواء بسواء. »[5]

يحاول الغذامي في كتابه المذكور أن يستبدل النقد الادبي الذي يبحث في الجماليات بالنقد الثقافي الذي يبحث في القبحيات، علماً أن هذه الرؤية النقدية كان رائدها في الفكر العربي ادوارد سعيد[6]، والأمر الذي تجدر الاشارة إليه « هو أنه لا يمكن للنقد الأدبي أن يموت، كما لا يمكن للنقد الثقافي أن يؤسس ولادته ومشروعيته على انقاض النقد الادبي. فالخطاب الثقافي لا يتحقق وجوده بانفصامه عن جماليات اللغة والمعنى في النصوص الشعرية، وانما يكتسب صفته الثقافية بفعل السياقات الجمالية والقيم الاجتماعية المنصهرة فيه»[7]، ولعل التناقض الذي يقع فيه الغذامي هنا هو أنه يتحدث عن أهمية الوظيفة الجمالية في بنية الخطاب الثقافي، في قوله: « لا بد أن يكون النص جميلاً ويستهلك بوصفه جميلاً، بوصف الجمالية هي اخطر حيل الثقافة لتمرير أنساقها وإدامتها»[8]، ولما كانت الجمالية صفة لازمة في النقد الادبي، فإن حضورها في النقد الثقافي – كما يرى الغذامي- بوصفها حيلة، يعني الاعلاء من شأن الوظيفة الجمالية في الخطاب الثقافي من جهة، والإشادة بأهمية الجمالي في توليد الأنساق من

جهة اخـــــــرى .

ولما كان هذا البحث يتخذ من المنهج الثقافي وسيلة إجرائية لقراءة شعرية الضد في النص الشعري الخارجي، فإن المقام يقتضي منا أن نقف عند مفهوم الشعرية وعلاقتها بالثقافة ، إذ يكتسب الخطاب الشعري أو الشعر شعريته من حيث هو بنية ثقافية جمالية من خلال محاولة « الشاعر المبدع قراءة العالم بحسه الانساني المرهف بكلية موجوداته، وبأناسه واشياءه، وعلاقاته الإيجابية والسالبة؛ ليعيد بناء هذا العالم العجائبي بوصفه كلاً ثقافياً فاعلاً. »[9]

لقد تعددت تعريفات الشعرية فـ (جان كوهن) مثلاً يعرفها على انها « علم موضوعه الشعر»[10]، وهذا يحيل إلى العنصر التنظيمي الذي تشتمل عليه الشعرية، أما (ياكبسون) فيرى أن « موضوع الشعرية يكمن في الاجابة عن السؤال التالي : ما الذي يجعل من رسالة لفظية اثراً فنياً »[11]، ويرى(ياكبسون)أن اللغة الشعرية تؤدي في العملية الشعرية وظائف محددة هي : مرجعية ، وشعرية ، وافهامية ، وانتباهية، وانفعالية ، وما وراء لسانية [12] ، الامر الذي يبرز قدرة اللغة الشعرية على اظمار انساق لا حصر لها بحكم وظيفتها ؟ .

ولأننا توخينا في بحثنا أن نقف عند الضد في الشعر الخارجي الذي يشكل مركزية نسقية جديرة بالبحث والدرس؛ فإننا في قراءتنا للنص الشعري الخارجي لابد أن نتحول من القراءة السطحية الأفقية إلى القراءة العميقة العمودية ، التي تعكس جدليات الصراع بكل ابعاده الانسانية والزمانية والمكانية من خلال الثنائيات الضدية ، الامر الذي يؤكد اهمية مقولة هيمنة النسق، ذلك « أن مجال النقد الثقافي هو النص ، ولكن النص هنا يعامل بوصفه (حامل نسق)، ولا يقرأ النص لذاته ولا لجماليته، وانما نتوسل بالنص لنكشف عبره حيل الثقافة في تمرير أنساقها. »[13]

يعرّف بارسونز النسق بقوله : « نظام ينطوي على افراد فاعلين تتحدد علاقاتهم بمواقفهم وادوارهم التي تنبع من الرموز المشتركة والمقررة ثقافياً في إطار هذا النسق، وعلى نحو يغدو معه مفهوم النسق اوسع من مفهوم البناء الاجتماعي »[14]، ويرى الشكلانيون الروس أن « (النسق الأدبي) مقابل (النسق التاريخي) يتميز باستقلالية معينة: لأنها ارث الاشكال والمعايير الثقافية المتنوعة التي بدأت من البناء السردي إلى مختلف طرق النظر في مسألة العروض. وتسمح هذه الاستقلالية بالتفكير في مسألة الأدبية »[15] ، وإذا اعتبرنا النص الشعري الخارجي حدثاً ثقافياً جمالياً، فهذا يعني ان الشاعر يستمد مادته الفنية من خلال التفاعل الثقافي مع مجتمعه، « فالقصيدة في اسمى تجلياتها، محاولة للمعالجة مع الواقع بكيفية أو بأخرى، أنها محاولة لتحقيق

الانسجام عبر الانسجام الحاصل في الواقع المعيش. ولما كان الواقع لا ينتمي إلى القصيدة إلا من خلال شرطه اللغوي، فإن الشاعر يعيد صياغة هذا الواقع بالواقع، انطلاقاً من التمرد عليه لإعادة بنائه بشكل جديد تبدو معه اللغة غريبة عن واقعها الاول واقع القول المؤتلف، وفي غرابتها تتجلى معانقتها للواقع الثاني واقع القول المختلف. »[16]

ولما كان النسق يمارس فاعليته في بنية النص الشعري بوصفه نظاماً علائقياً فوقياً محملاً بمرجعيات ثقافية وأيديولوجية ، فإن « النظرية الثقافية تبلغ اقصى دلالتها حين تكون معنية – على وجه الدقة – بالعلاقات بين الانشطة الإنسانية الكثيرة والمتنوعة التي قسمت - تاريخياً ونظرياً – إلى جماعات على هذا النحو، خاصة حين تتفحص هذه العلاقات من حيث دينامية ومحددة داخل مواقف تاريخية شاملة يمكن وصفها، والتي هي ايضاً – كممارسة – متغيرة ، وهي في الحاضر متقلبة. »[17]

ولما كان النسق يتكأ على مكوني اللغة والثقافة في بناء نظام من العلاقات الإشارية، فإن ذلك يجعل علاقة اللغة بالثقافة « هي علاقة تأثير وتأثر، فاللغة تحدد الثقافة كما أنها تتحد بها في الوقت نفسه »[18]، لذا فإن « محاولة فصل اللغة عن الثقافة يعد عملاً منافياً لطبيعة كل منهما، ولهذا فإنه يمكن ان نصف الثقافة بنفس الطريقة التي نصف بها اللغة، لأن الأشكال اللغوية لا تختلف عن الأشكال الثقافية، ولأن كل منهما يمتلك وجوداً مادياً معنوياً، فالأولى تظهر في شكل علامات أو كلمات مكونة من أصوات تحمل دلالات معينة، والثانية تظهر في شكل صور مادية لها قيمة دلالية أو استجابية من قبل الجماعات. » [19]

شكّل الخطاب في النص الشعري الخارجي وحدات دلالية أدت وظيفتها في إيصال رسالتهم إلى متلقي شعرهم إذ إن النص الشعري ليس انتاجاً خاصاً للشاعر بل انه يصل إلى أعماق القارئ الذي يعيد انتاج النص وفقاً لرؤيته، وقد أدرك الشعراء الخوارج اهمية ذلك فانفتح خطابهم الشعري على دلالات اكتنزت الفاعلية الشعرية والوعي القائم بين الأنا والآخر ضمن العملية التواصلية بين الشاعر والقارئ، فالنص الشعري ينطوي على فراغات أو فجوات تحفز القارئ على التأويل ، وهكذا تؤدي « الفجوات المحور الذي تدور حوله علاقة القارئ بالنص، ومن هنا تحرض فراغات النص المنبنية القارئ على ممارسة عملية التخييل ضمن الشروط التي يحددها النص. »[20]

المبحث الأول : مركزية النسق الضدي في البناء الشعري:

يشكّل نسق الثنائيات الضدية في الخطاب الشعري عامة وفي الشعر الخارجي خاصة سمة بارزة تضفي على النص شحنة فنيةً عبر خلق انزياحات ذات سمة تنافرية تجمع بين المتناقضات في سياقات فنية مبتكرة ،وقد حاول شعراء الخوارج

أن يستخدموا هذه الثنائيات بشكل منظم وغير عشوائي بغية الوقوف على وظائفها الدلالية والجمالية فتعاملوا معها برؤية معمقة، إذ واجه الشاعر الخارجي ثنائيات الحياة بكل اشكالياتها وجدلياتها، فحاول أن يؤسس رؤية يفسر من خلالها اسباب خروجه وتمرده على الشرعية والنظام والقانون، وطبيعة حياته وما فيها من حركة وتنقل وتحول ، من خلال الصراع الوجودي بين العوالم والأشياء المتباينة ، وسنحاول أن نتتبع الثنائيات الضدية في شعر الخوارج مبتدئين بـ :

أولاً : ثنائية (الحياة والموت) ، ومن أمثلتها قول (عيسى بن فاتك) أحد شعراء الخوارج أيام معاوية :

لقد زاد الحيـــــاة اليّ حباً ❖ بناتي انهنّ من الضعـــــاف
مخافة أن يَرِيْنَ البؤس بعدي ❖ وأن يشربنَ رنقاً غير صـــاف
وأن يَعرِيْنَ إن كُسي الجواري ❖ فتنبو العين عن كرم عجـــاف
وأن يضطرهن الدهر بعدي ❖ إلى جَلِفٍ من الأعمام جـــاف
فلولا ذاك قد سوّمتُ مُهري ❖ وفي الرحمن للضعفـــاء كاف
تقول بنيّتي أوْص المـــوالي ❖ وكيف وصاة مَنْ هو عنك جاف
أبانا مَنْ لنا إن غبـــتَ عنا ❖ وصار الحيُّ بعدك في اختـــلاف [21]

يقدّم عيسى بن فاتك في هذا النص صورة للخوف من الموت وحب الحياة متكئاً على فاعلية التضاد ، والشاعر يستشعر سلطة الموت من خلال علاقته ببناته، كاشفاً عن جوهر النفس الانسانية بما يصوره شعره من ضعفهـــا أمام الحياة (بناته) وتعلقه بها.

إن خوف الانسان من سلطة الموت يشي بشكل واضح بحالة التبدل والتغير التي تطرأ على الانسان ،فالجهد الانساني (الحياة) يتحول إلى عجز انساني (الموت) كما نفهم من لغة الشاعر (مخافة ، الضعاف ، عجاف، ..)، وهكذا تمكّن الشاعر من تشكيل صورة لسلطة الموت عبر فناء القوة الانسانية بزوال الفعل الانساني، وبذلك يغيب الانسان أو القدرة الانسانية أمام حضور الموت .

ومنها ايضاً قول قطري بن الفجاءة المازني في حواره مع نفسه :

أقول لها وقد طارت شعاعاً ❖ من الأبطال ويحـــك لن تراعي
فإنكِ لو سألت بقاء يـــومٍ ❖ على الأجل الذي لك لم تطاعي
فصبراً في مجال الموت صبراً ❖ فما نيل الخلود بمستطـــاع

ولا ثوب البقاء بثـــوب عزّ ❖ فيُطوى عن أخي الخنع اليراع
سبيل الموت غايـــة كل حيٍّ ❖ فداعيه لأهل الأرض داعـــي
ومَنْ لا يُعتبط يسأم ويهرم ❖ وتُسلمهُ المنون إلى انقطـــاع
وما للمرء خير في حيـــاةٍ ❖ إذا ما عدّ من سقط المتـــاع[22]

يقدم الشاعر في هذا النص صورة للصراع بين الخوف من الموت والرغبة في الخلود، مادام التطلع إلى الخلود في الدنيا في نظر الشاعر هو ضرب من الوهم.

إن العالم الذي يصوره الشاعر هنا هو عالم الحضور، وفي فضاء هذا العالم تتحرك الذات لتحقق رغبتها في الموت (فصبراً في مجال الموت صبراً) وتبدو حركة الذات نقيضاً قصدياً واضحاً للخوف من الموت كما بدت في مفتتح النص (اقول لها وقد طارت شعاعاً). فالحركة الاولى ترصد ثقافة الصبر، عن طريق الرغبة في الموت، وهذه الرغبة تخلق حالة من الطمأنينة في نفسية الشاعر نظراً لاقترانها بالخلود والعزة (البقاء بثوب عز ، الخلود) .

ويقول عروة بن أدية :

لعمرك ما بالموت عارٌ على الفتى ❖ إذا ما الفتى لاقى الحمِام كريماً
ولكنما ضرُّ الحيـــــاة وعارُها ❖ أحال عليه أن يموت ذميمـــا [23]

يتكون هذا النص من جدلية الحضور (الموت) والغياب (الحياة)، وفي هذه الجدلية نرى علامة التحوّل تطغى على النص، إذ تتحول الحياة (ضر الحياة وعارها) إلى غياب كلي ينتفي منه أي أثر للحياة . إن الحياة التي كانت تمثل قيمة عليا عند الشاعر الخارجي تتحول بفعل سوء الواقع إلى موت ، لذا فإن غياب الانسان عن الحياة يعني حسب رؤية الشاعر حضوراً لموت الانسان

غيـــــاب الانسان ⟵ حضـــــور الموت
حضور الموت (الضد) ⟵ غياب الانسان (الضد)

ثانياً : ثنائية (الحضور والغياب) ، ومن نماذجها قول أحد الخوارج :

ومَنْ يخشَ أظفار المنايا فإننا ❖ لبسنا لهنّ السابغات من الصبر
وأنّ كريه الموت عذبٌ مذاقهُ ❖ إذا ما مزجناه بطيبٍ من الذكـر [24]

تبدو جدلية الحضور والغياب في هذا النص من خلال حضور الموت وغيابه، إذ نرى علامة التحول تطغى على حدود الموت ، إذ تتحول كراهية الموت ورفضه إلى

حب الموت والتكالب عليه ، وجديراً بالذكر أن « إشكالية التضاد بين الحضور والغياب بمقدار ما تمكّن للاختلاف تلغيه »[25] ، فالموت الغياب هو في الحقيقة مكروه ، ولكن لا مفر منه .

ومنها أيضاً ابيات قطري بن الفجاءة التي قالها بعد فراق اصحابه له:

أقول لنفسي حين طال حصارها ❖ وفراقها للحادثات نصيرهـا
لك الخيرُ موتي إن في الخير راحةً ❖ فيأتي عليها حيْنُها ما يضيرها [26]

الامر الذي يظهر لنا من خلال قراءة جدلية الحضور والغياب في هذا النص، هو غياب الاصحاب أو الانصار، لينسجم مع مشهد الحصار النفسي الذي يعاني منه الشاعر، كما نرى التحوّل الذي يطغى على شخصية الصاحب ،إذ يتحول وجود الصاحب إلى غياب كلي (وفراقها للحادثات نصيرها) ينتفي منه أي أثر للحياة .

ومن نماذج ثنائية (الحضور والغياب) الشعرية ايضاً قول داود بن عقبة العبدي :

إلى الله أشكو فَقْدَ فتيان غـــارةٍ ❖ شهدتهم يـــوم النُّخيلة والنهر
شهدتهم أُسداً إذا الحرب شمّرت ❖ مساميح بهم بالمهنّـــــدة البتر
أولئك أخواني مُنيتُ بهلكهـــــم ❖ فلهفي عليهم أن يُرَوْا آخر الدهر
مضوا سلفاً قبلي وأُخِّرْتُ بعدهم ❖ وحيداً لأقوامٍ تنابلةٍ خُـــــزْرِ [27]

يتضمن هذا النص ثنائية الحضور والغياب، ومما يلاحظ فيها علامة التحول التي تطغى على حدود المكان ، إذ يتحول الوجود الانساني (شهدتهم يوم النخيلة والنهر) إلى غياب كلي ينتفي معه أي اثر للحياة .

إن موقعي الحرب (النخيلة والنهر) اللذين كانا حافلين بشجاعة اصحابه يتحولان بفعل الموت إلى مكانين خالين من الحياة، لذا فإن غياب الانسان عن المكان يعني حسب رؤية الشاعر حضوراً لموت الانسان، وقد تسبب الزمن من حيث هو قوة غيبية تدميرية في تصدّع علاقة الانسان بالإنسان ومن ثم علاقة الانسان بالمكان، إذ تتحول الغبطة إلى حزن، ويتحول مصير الاصحاب المتحد إلى حالة من الوحدة والتفرّق .

ثالثاً: ثنائية (الأنا والآخر) ، ومن امثلتها في شعر الخوارج ، ابيات (منير بن صخر بن يعمر الراسبي) التي قالها في هجاء أخواله لانهم لم يجيروه من عبيد الله بن زياد ، ويمدح رجلاً من بني عقيل أجاره، يقول :

وجدتُ بني قيسٍ لئاماً أذلةً ❖ كثيراً خناهُم ضُحكةً في المحافل

وجدتهم لما أتيتُ بلادهـــــــــم ❖ ضعافاً قواهم نُهزةٍ للقبائـــل
وجارُ عقيلٍ لا يخـــافُ هضيمةً ❖ يحلُّ نجاةً عن يد المتنـــــاول
ظلوماً ولا تلقى مجاور بيتهـــــم ❖ يد الدهر مظلوماً مقرّاً بباطل
ترى جارهم فيهم كريماً وضيفهم ❖ منيعاً حماهُ آمناً للغوائـــــل [28]

يتكون هذا النص من جدلية الأنا والآخر التي تتجلى في علاقة الشاعر بالآخر (أخوال الشاعر) و(رجل من بني عقيل) ، ويبدو أن علاقة الشاعر بالآخر (بني قيس) متوترة محتدة. وفي إطار هذه الجدلية يكشف منير الراسبي القناع عن شخصية بني قيس السالبة ، فهي قبيلة ضعيفة ، إذ ترتب على ضعفها خذلان الشاعر الذي استجارها . وهذه الصورة مغايرة ومتضادة لصورة العلاقة بين الشاعر والآخر (بني عقيل) :

وجارُ عقيلٍ لا يخافُ هضيمةً ❖ يحلُّ نجاةً عن يد المتناول

ومنها ابيات ابن أبي ميّاس المرادي التي قالها في قتل الإمام علي (عليه السلام) وقد جاء فيها:

ونحن ضربنا، يا لكَ الخيرُ ، حيدراً ❖ أبا حسن مأمومةٍ فتفطّـــرا
ونحن حللنا مُلْكَهُ من نظامـــــهِ ❖ بضربةِ سيفٍ إذ علا وتجـبرا
ونحن كرامٌ في الصباح أعِـــــزةٌ ❖ إذا الموتُ بالموتِ ارتدى وتأزّرا [29]

تتجلى جدلية الانا والآخر في هذا النص في علاقة (الخوارج) ويمثلهم الشاعر بالآخر الامام علي (عليه السلام)، ويبدو أن هذه العلاقة متوترة محتدة بسبب النزاع على الحكم ، ويحاول الشاعر أن يكشف الوجه الاخر (السلبي) من شخصية الامام علي (عليه السلام) فهي شخصية في نظر الشاعر متجبرة ، ولكن الواقع خلاف ذلك ، لأنهم في حقيقة الأمر قد رضوا عن شخصية الإمام علي (عليه السلام) ، وهو ما أوضحه (أحمد سليمان معروف في قوله) : « والذين كانوا يشكلون (مشروع الخوارج) لقد رضي هؤلاء أشد الرضى عن خلافة علي وأعجبهم فيه : زهده وفصاحته وشجاعته وصراحته وصدقه وعدله ، وهذه صفات ظلوا ينشدونها ، وودّوا لو تحلّى بها الحاكم والمحكوم، ومع ذلك فقد كانوا يتململون ويبدون نوعاً من الخروج قبل صفين » (30)، فالخوارج من الشعراء الذين « يشنون حملات شديدة على خصومهم ،فيقللون من شأنهم، ويحطون من قدرهم ، ويرمونهم بأشنع التهم»[31]، لأنّ « طابعهم التشدد والعنف ، والقتال الذي لا يهدأ، والخلاف مع الأحزاب السياسية الأخرى، فعقيدتهم تتمثل في قول الشاعر :

رأى الناس إلا مَنْ رأى مثـــل رأيه ❖ ملاعين ترّاكين قصـــــد المناهج
ولا خير في الدنيا إذا الدين لم يكن ❖ صحيحاً ولم يصمد لقصد المخارج »[32]

الخطاب في هذا النص هو خطاب سياسيٌ ، يدل على ان الشاعر يفخر بنفسه وقومه وبخروجهم عن الامام الحاكم آنذاك الامام علي (عليه السلام)، الا ان باطن النص يكشف عن ان الشاعر ينتقص من نفسه وقومه ، لأنه ليس من الفخر ان يخرج الانسان على امامه .

ومن الأمثلة الأخرى على جدلية (الأنا والآخر) في شعر الخوارج أبيات عمرو بن ذكينة الربعي التي كتبها إلى عمر بن عبد العزيز عند تسلمه الخلافة والتي يقول فيها :

قل للمولى على الإسلام مؤتنفـــاً ❖ وقد نرى أنّه رثُّ القــوى واهِ
أزرى به معشرٌ غذَّوْهُ مأكلـــــــةً ❖ بنخوة العزِّ والانـزاف والباهِ
أنا شرينا بدين الله أنفسنـــــــا ❖ نبغي بذاك إليه أعظم الجاهِ
ننهى الولاة بحد السيف عن سرَفٍ ❖ كفى بذاك لهم مـن زاجرٍ ناهِ
فإن قصدتَ سبيل الحق يا عمـرُ ❖ آخاك في الله أمثالي وأشباهي
وإن لحقت بقومٍ كنتَ واحدهـم ❖ في جوْرِ سيرتهم فالحكم لله[33]

يتكون هذا النص الشعري من جدلية يعتمد عليها البناء النصي هي جدلية (الأنا والآخر) التي تمثلها علاقة الشاعر بالخليفة (عمر بن عبد العزيز) ، ونرى الشاعر يخاطب الآخر (عمر) بأسلوب الوعيد والتهديد (ننهى الولاة بحد السيف)، وكأن (الأنا) بالوعيد قد وضع قيوداً على (الآخر) وهذه القيود لا تنسجم مع طبيعة الخليفة (عمر)، فالوعيد أفقد (الآخر) حقه في الوجود وأنكر عليه حرية الكلمة ، فـ (الأنا) يحتم على (الآخر) الاستسلام والرضوخ لإرادته، فالقراءة هنا يمكن أن تشير إلى نمط أو شكل العلاقة بين الخوارج ويمثلهم في هذا النص (أنا الشاعر) والولاة ويمثلهم (عمر)، فهي علاقة تبدو متوترة، وفي إطار هذه الجدلية يكشف الشاعر عن شخصية الولاة الذين حكموا في العصر الاموي والذين عرفوا بسيرتهم السيئة .

المبحث الثاني : مركزية النسق الضدي في الموضوع الشعري:

أولاً : صراع الانسان مع الانسان:

يشكل الفعل أو السلوك الانساني في النص الشعري الخارجي عنصراً فاعلاً في بنية النص، بوصفه قوّة محرّكة تنطلق منها موضوعات لا متناهية وثيقة الصلة بالتجربة الانسانية وتؤدي إلى ظهور الفعل والفعل المضاد، وما دمنا نتحدث عن مركزية

النسق الضدي في الموضوع الشعري، فلابد إن نشير إلى أشكال تكوّن هذه المركزيات وفاعليتها في النص الشعري الخارجي، ووفقاً لذلك فإن دراسة أبعاد الصراع الانساني داخل النص تتطلب قراءة عميقة وفاحصة قصد تحليل تلك الابعاد في النصوص الشعرية . ومن أشكال الصراع الانساني التي تضمنتها نصوص الخوارج الشعرية :

1 - فوقية الانثى / دونية الفحل ، ويمثله ما قالته امرأة خارجية، وقد أقامت في معسكر الضحاك سنين :

تركتُ رمحاً ليناً مسُّـــهُ ❖ وجئتُ رمحاً مسُّهُ قاتل
شتّان هذا بدمٍ سائـــلٌ ❖ وذاك منه عسلٌ سائل
مطعونُ ذا كم منه في لذةٍ ❖ وأمُّ مطعونٍ بذا ثاكـل
مُرّوا بنا نرجع إلى ديننـــا ❖ فكلُّ دين غيره باطـــل
وملّة الضحاك متروكـةٌ ❖ لا يجتبيها احدٌ عاقـل [34]

إن التحليل الثقافي لبنية هذه الابيات يجلي للمتلقي ثقافة الشاعرة الواعية بالأسس التي يقوم عليها حزب الخوارج والاحزاب الأخرى، فهي تتخذ من المقابلة بين فكرتين متناقضتين : الرجوع إلى الدين والثبات عليه ، والابتعاد عن أفكار الأحزاب الأخرى مدخلاً لتعرية فكر الحزب الخارجي والأحزاب الأخرى . ويبدو الصراع واضحاً بين النسق الفردي (الشاعرة) والنسق الجمعي (الأحزاب) من خلال رفض الشاعرة لأفكار الآخرين التي لا يمكن أن تفي بأهدافها ، وتصل إلى مستوى فكرها؛ لتتخذها منهجاً تسير عليه .

وتتضخم ذات الشاعرة تدريجياً عندما تشعرنا بأنها صاحبة رأي وانها تمتلك من الشجاعة والإقدام، التي بما تفوق جرأة الرجال وشجاعتهم على الرغم من احساسها بالنفي والاغتراب، ويمكن ان نرى في ضوء سياق الحديث عن تضخم ذات الشاعرة قدرتها على ترك حزب الضحاك الذي يعتمد على القتال والحرب والتضحية ، في سبيل الدفاع عن الدين . لقد وجدت الذات النسقية للشاعرة نفسها وسط مجتمع يتسم بالصراع الحزبي ، لذلك فإن هـــذه الذات بدأت بالتمرد على منظومة النسق الجمعي (حزب الضحاك) وقد تجاوزت نزعة الأنا وأطماعها ، وأعطت الحياة شكلها وسلوكها، بعيدة عن رؤى المجتمع .

2 - غياب الأنثوي / حضور الفحولي ، ومن النصوص الشعرية التي تكشف قراءتها عن حضور الأنساق وتضادها وهي تصور مسار الصراع الانساني، أبيات الشاعر زياد الأعسم التي يقول فيها :

تعاتبني عِرْسي على أن أُطيعهـــا ❖ وقبلَ سُليمى ما عصيتُ الغوانيا
فكفّي سليمى واتركي اللــوم إنني ❖ أرى فتنةً صماءَ تُبدي المخازيـــا
فكيف قُعُودي والشراةُ كما أرى ❖ عزين يلاقون البلايا الدواهيـــا [35]

يبدو الصراع الانساني في هذه الابيات واضحاً بين الشاعر ونفسه، إذ يخالج نفسه احساسان عميقان، فكري وعاطفي، الأول مثالي، يتجلى في رفض الحياة واحتقارها، والآخر مزيج بين المثالية والعاطفية، وبخاصة مع زوجته الضعيفة ، التي هي بحاجة إلى مَنْ يحميها ويدافع عنها، فالشاعر يتمنى من زوجته أن تكف عن لومه في الخروج للجهاد، وفكرة اللوم هذه متصلة بمعنى الحاجة الذي يريده الشاعر كاعتراف أولي بوجوده وفاعليته، لأن الزوجة تعلم جيداً مدى شجاعته ورغبته بالجهاد. ويمضي الشاعر في تأسيس قيم الرفض لظلم النسق الجمعي من خلال اظهار هذه القيم التي تكتنزها لغة النص.

ولكي يثبت الشاعر هويته ويؤكد تفوق نسقه الذاتي ، فإنه يوظف ذاكرته في سرد صور من ألوان بطولته. ومن هذه الصور التي يتجلى فيها الوعي السردي عند الشاعر منظر ضعف الغانية أمام قوة الفرد ، واختيار الشاعر هنا للغانية يعبر عن فكرة مركوزه في نفس الشاعر، وهي تأكيد فكرة القوة المطلقة التي لا توازيها قوة في رؤيته . فالزوج البطل عندما يخرج للقتال ويخوض المعركة فإنه يأخذ على عاتقه مسؤولية الدفاع عن قيمة الجمال والحياة / الغانية ، نظراً لوجود من يذكره بمتعة الحياة فيقاتل قتالاً مستميتاً، ورغبة الشاعر (الزوج) في قتال الشراة توحي بزوغه إلى حس التملك لهذه الغانية / رمز الحياة والمتعة وإلى انه حقيق بها والدفاع عن عالمها .

ثانياً : صراع الانسان مع الزمن:

تبيّن لنا من خلال قراءة نصوص الشعراء الخوارج أن الزمن يشكّل نسقاً له خصوصيته وفاعليته في تشكيل تصوّرات الانسان الخارجي تجاه ما يطرحه في حياته من موضوعات وما يواجه من صراعات . كما تتسم علاقة الشاعر الخارجي مع الزمن بالتوتر والاحساس بوجود قوة غيبية خفية تترك أثرها عليه ، لذا فإن الزمن لا يدرك « إلا في تعقده وتركيبه . فهو مهما يكن فقيراً، إنما يطرح نفسه على الأقل من خلال تعارضه مع الحدود والتخوم ، وليس لنا الحق في تناوله كأنه معطى وحيد الشكل وبسيط »[36]، ومن خلال قراءتنا لشعر الخوارج سنحاول أن نكشف عن الآليات التي تتعامل بها ثقافة الشاعر الخارجي مع الأنساق التي يؤلفها الزمن كالليل ، والشيب ، والدهر . ومن أمثلته ، ابيات كعب بن عميرة التي قالها في رثاء أهل النهروان :

لقد فاز أخواني فنالوا التي بهـــا ❖ نجوْا من عذابٍ دائـــمٍ لا يُفتّرُ
أبى الله إلا أن اعيش خلافهـــم ❖ وفي الله لي عزٌّ وحرزٌ ومَنْصَـــرُ
ويا ربِّ هَبْ لي ضربةً بمهنّـــــدِ ❖ حسامٍ إذا لا قى الضريبـــة يهبرُ
فقد طال عيشي في الضلال وأهلهِ ❖ أخافُ التي يخشى التقيُّ وأحذرُ
أخافُ صروف الدهـــرِ إني رأيتها ❖ تروح على هذا الأنام وتُبكـــرُ [37]

يمثل الدهر عند الشعراء الخوارج معادلاً للقوى الغيبية التي تعطل نشاط الانسان ، فيقف امامها مسلوب الإرادة، وهو الشاهد على موت الإنسان، لذا فقد أسس الشاعر الخارجي مرثيته على حدث الفناء الانساني . وواضح في أبيات بن عميرة صورة الدهر السالبة ، إذ يخاف الشاعر مما يقوم به الدهر في حياة الانسان من تغييرات وتقلبات، لاسيما أنه يعيش في واقع مليء بالفساد والضلال (فقد طال عيشي في الضلال وأهله) ، كما نلحظ اعتراف الشاعر بقوة الدهر وقدرته على السيطرة على أحوال الناس(أخاف صروف الدهر) الأمر الذي يشير إلى ضعف الانسان أمام سلطة الدهر. وفي حديث الشاعر عن الدهر يحاول ان يجعل من اللامرئي مرئياً وشيئاً مادياً محسوساً (أخاف صروف الدهر إني رأيتها .... تروح على هذا الأنام وتُبكر) ؛ لكي يفهم الشاعر سر الموت – الدهر، وغموض االلامرئي، إلا أنه على الرغم من ذلك يبدو مهزوماً ومستسلماً لإرادته ، لأن الموت – الدهر في وعي الشاعر عاملاً قهرياً لا يستطيع الانسان أن يفعل أي شيء ضده ، فالموت – الدهر أقوى من إرادة الإنسان .

أما مالك المزموم فقد قدّم لنا صورة أخرى عن الصراع الإنساني مع الزمن من خلال استخدامه لنسق (الشيب)، يقول في تواريه من الحجاج :

ألم يأنِ لي يا قلبُ أن أترك الصِّبـا ❖ وأن أزجر النفس اللجوج عن الهوى
وما عذرُ مَنْ يعمى وقد شاب رأسهُ ❖ ويبصرُ أبواب الضلالة والهـــدى
ولو قُسم الذنب الذي قد أصبتهُ ❖ على الناس خاف الناسُ كلهم الردى
وإن جنَّ ليلٌ كان بالليل نائمـــاً ❖ وأصبح بطّال العشيـات والضحى [38]

يعد الشيب في الثقافة الإنسانية نسقاً دالاً على التحول والتغير الذي يطرأ على حياة الإنسان، ولم يكن هذا المعنى غائباً عن فكر الإنسان الخارجي في تأملاته للحياة وتقلباتها، وهو يحاول التعبير عن قضايا إنسانية مهمة في الحياة تتعلق بطبيعة رؤيته للوجود بوصف الشيب شكل من أشكال الزمن .

يحاول الشاعر في هذه الأبيات أن يبيّن سلطة الشيب المؤثرة والقادرة على تغيير

العلاقات الإنسانية ، إذ أن للشيب حضوره السالب في حياة المحبين من خلال علاماته التي يتركها على الإنسان ، إذ ينبغي على العاشق / الشاعر أن يجتنب العشق والهوى، وقد حدد الشاعر هذا الاجتناب (وما عذر مَنْ يعمى وقد شاب رأسه) .

إن الشيب، في رؤية الشاعر، عامل لردع النفس عن الهوى، وتبدو سلطته قاهرة للإنسان عندما يلوم الشاعر قلبه ونفسه (ألم يأنِ لي يا قلبُ أن أترك الصِّبا ... وأن أزجر النفس اللجوج عن الهوى) ويتحول العشق إلى ذنب . ففي هذه الأبيات نرى ذات الشاعر في اصطدامها مع الشيب خائفة بسبب انعكاسات النتائج السلبية للزمن / الشيب عليه . وتبدو لغة الشاعر في رؤيته لحضور الشيب مشوبة باللوم والخوف، لذا فقد استسلم الشاعر لسلطة الشيب ، ولم يحاول مقاومته لأنه قانع به ؛ ولأنه يرى في الشيب رادعاً للنفس عن الضلالة والهوى، لذا فإنه يعزي نفسه بالحكمة عن تجربة زجر النفس عن الهوى بسبب الانقلاب الزمني / الشيب .

ويستخدم مالك المزموم نسقاً آخر (الليل) في تقديم صورة أخرى للصراع الانساني مع الزمن ، وهو يرثي زوجته أم العلاء في قوله :

امرْ على الجدث الذي حلّت به	❖	أمُ العلاء فنادها لو تسمـــــعُ
أنّى حللتِ وكنتِ جد فروقـــــةٍ	❖	بلداً يمرُّ به الشجاع فيفـــزعُ
صلّى الإله عليكِ من مفقــودةٍ	❖	إذ لا يلائمكِ المكان البلقـــــعُ
فلقد تركتِ صبيةً مرحومـــــةً	❖	لم تدرِ ما جزعٌ عليكِ فتجـــزعُ
فقدتْ شمائلَ من لزامكِ حلوةً	❖	فتبيتُ تسهرُ ليلها وتفجّـــــعُ
فإذا سمعتُ أنينها في ليلهـــــا	❖	طفقتْ عليكِ شئونُ عيني تدمعُ[39]

تشكل موضوعة (الليل) عند الشاعر الخارجي نسقاً ثقافياً آخر تتضح فيه جدليات الصراع الإنساني مع الزمن ، وهو يمثل قوة غامضة تبعث على الخوف والألم عند الإنسان الخارجي ، وإذا بحثنا عن دلالات الأنساق الثقافية لموضوعة الليل في هذه الأبيات لوجدنا أنها تشير إلى عالم مسبب للحزن والألم نتيجة وفاة زوجة الشاعر التي تركت له صبية يبكون على فراق امهم .

يتسم عالم الشاعر الليلي بالشكوى والبكاء ، ولا غرابة في ذلك ، إذ أن تجربة الشاعر في الحياة ليست تجربة عادية، وإنما تجربة مليئة بالحزن على فقدان الزوجة ،ولأن الشاعر بدا منفعلاً في أبياته بالأحداث التي عكست هذه التجربة ، فإن الزمن لديه يغدو زمناً نفسياً بسبب قسوة الحياة وقسوة الزمن ايضاً .

ثالثاً : صراع الانسان مع المكان:

يشكل الطلل في الشعر الخارجي، واقعة ثقافية محيّرة للإنسان الخارجي، نظراً لارتباطه بالمكان الذي يعيش به الانسان/ الشاعر، ولا غرابة في ذلك مادام المكان « يرتبط بقيمة الحماية التي يمتلكها والتي يمكن أن تكون قيمة إيجابية، قيم متخيلة سريعاً ما تصبح هي القيم المسيطرة. »[40]

إن الوقوف على الطلل عند الشاعر الخارجي يبرز حقيقة الألفة والانسجام بينه وبين المكان، إذ يتحول المكان إلى ذاكرة حافظة للفعل الإنساني وأثره في المكان، ومن ثم يصبح الطلل نسقاً مولداً للأنساق الضدية التي تبيّن موقف الانسان ورؤيته للطلل.

ومن أجل الكشف عن تشكلات الصراع بين الانسان مع المكان سنقف عند بعض النماذج الشعرية التي تبدو فيها نسقية الضد فاعلة، ومنها ابيات الطرماح التي وقف فيها على الديار المهجورة بعد رحيل أهلها عنها ، يقول:

لمن ديار بهذا الجـــزع من ربـبِ ❖ بين الأحزّة من هَوبـــــان فالكُثُبِ
تلك الديار التي أبكتـــكَ دمنتها ❖ فالدمعُ منكَ كهـزمِ الشنّةِ السّربِ
أطلالُ ليلى ، محتهـــا كُلُّ رائحةٍ ❖ وطفاءَ، تستنُّ رُكـــني عارضٍ لَجِبِ
أكنافهُ خلقٌ من دونـــــه خلقٌ ❖ كالرَّيط نشرتــهُ ذي الزِّبرج الهدبِ
لما أستْ به ريحُ الصبـــا، ومرّتْ ❖ لبُونها، وجدوهـــــــا ثرّة الشخب
لا يعلمُ الناس مَنْ ليلى وذكرتها ❖ ما قد تجرّعتُ منْ شوقٍ ومن طربِ [41]

يعد الطرماح « واحداً من هؤلاء الشعراء الذين شاعت المقدمة الطللية في صدور قصائده ، وتمسّك بها وحرص عليها »[42]، وفي إطار قراءتنا الثقافية لهذه الأبيات نجد أن الشاعر الطرماح يستخدم اسلوب الاستفهام في بداية الابيات ليعبر عن دهشته لما حلّ بالمكان/ الديار من خراب ودمار، والاستفهام هنا استفهام استنكاري، فالشاعر يبدو متنكراً للتحول الذي أصاب الديار بعد رحيل أهلها عنها.

وإذا ما أردن أن نفكك شفرات النسق الطللي فإننا ندرك حالة الطمس الإنساني تلك ، الأمر الذي يفرض على الشاعر خلق ممكنات ابداعية يتحدى عبرها عملية القهر المكاني للإنسان. وأولى هذه الممكنات التي يضمرها النص الشعري تتمثل بالمعرفة التي تحفظ ذاكرة الانسان من النسيان، إذ أننا نلحظ الشاعر يحفظ حدود المكان الذي يعشقه وينتمي إليه ويعرفه أيضاً (بالديار: الجزع ، الكثب، الدمنة ، الاطلال)، وثاني الممكنات النسقية التي تصور اصرار الشاعر على الثبات تكمن في وقوفه على الديار المتحولة ، وهذا الوقوف في حد ذاته إيحاء مباشر بان الشاعر يسعى إلى إعمار المكان

بالحياة تارة أخرى ، إذ تبدو لحظة الوقوف هذه وكأنها أداء طقسي يذرف فيه الشاعر الدموع قصد بعث الحياة ، فالدموع وإن كانت ترمز إلى مرثاة للحياة الإنسانية ، فإنها تفصح عن قيمة الحياة في نظر الشاعر وعن رفضه لتفوق المكان على الإنسان . لذلك يبدو تشبيه الشاعر لمشهد البكاء بمشهد هزم الوجه العبوس المتجهم في خفية لصيقاً بمعنى الفرح في استعادة الحياة الماضوية ، ومحاولة تأسيس ثقافة الحنين إلى الفردوس المفقـــــود.

ويبدو أن المرأة تشكل العامل الابرز في اهتمام الشاعر الخارجي، إذ تمثل نواة في صلب القصيدة ، وفي ثقافة الشاعر الخارجي ايضاً، ومحفزّاً خلاقاً في توليد الانساق المضمرة، وهذا ما نلاحظه في ابيات الطرماح التي يقول فيها :

أهاجكَ بالملا دمـــــنٌ عوافي ❖ كخطِّ الكفِّ بالآي العجـــافِ
تعاورهنَّ بعـــــد مضي حولٍ ❖ مصايفُ جُلُّها بـــــرْدٌ وسافي
فعيناهُ، لصـــرمِ حبالِ سلمى ❖ وطول فراقها بعـــــد ائتلافِ
كغربيْ شنـــــــةٍ خلقين مجّا ❖ غريض الماء مـــن خرز الأشافي
لعمرك ، يوم بنـين الحي ، إني ❖ لذو صبر عليه وذو اعـــتراف
على صعداء مـن زفرات شوق ❖ ترفع عروها تحت الشغـــــاف
فمهلاً بعض وجـدك ، كل أمرٍ ❖ يصير، وإن أحمّ ، إلى انكشافِ
كذاك الدار تسقـــب بعد نأي ❖ وبعد شتات أمرٍ واعتـــــراف
وما صهباء، في حافـــات جون ❖ بعانة، من خراطيم السـلاف
مضت حجج لها في الدّنّ تسع ❖ وعام بعد مرّ التســـــع وافى
فلما فت عنها الطين فاحـــت ❖ وصرّح اجرد الحجرات صافي
بأطيب نكهة من أم سلـــــمى ❖ إذا ما الليل آذن بانتصـــاف [43]

يقف الطرماح في هذه الأبيات عند ديار محبوبته وزوجه (سلمى) التي لم يبقَ منها سوى رسومها الدارسة ، وقد شبهها بخط المصحف الدقيق ، بعد أن أتت عليها عوادي الزمن فمحتها، ويبدو ان للمكان قيمة عليا عند الشاعر الخارجي نظراً لارتباطه بمعنى المكانة التي لا يستأهلها إلا من تربطه بالشاعر علاقة روحية ،فضلاً عن أن المكان يشكل اعادة صياغة لتجارب الشاعر مع الجماعة .

ويتجلى صراع الشاعر مع نسق الطلل عندما يقف على معالمه مستأنساً على الرغم من سلبية المكان ووحشته ، مما يؤدي إلى أن تضطرب في ذات الشاعر الشاعرة

شعورين : الشعور بالحب والحنين لهذا المكان(بأطيب نكهة بأم سلمى، إذا ما الليل آذن بانتصاف)؛ لأنه يعيده إلى مواطن الذكريات الجميلة مع سلمى ، والشعور بالكره والتطير نتيجة لتغير المكان بعد ان هجرته المحبوبة ، وهذان الشعوران (الحب، الكره) يدفعان الشاعر إلى الاحساس بالتوتر نتيجة تصدّع العلاقة الإنسانية . فالحب يجعله في صراع مستمر لكي يحقق ذاته ويبني المكان الحلم ، والكره يدفعه أيضاً إلى الشعور بعدم الراحة والانفلات من قبضة النسق الطللي ، والبحث عن إمكانات قيام الحياة .

الخاتمـــــة :

بعد القراءة المتأنية في نصوص الشعراء الخوارج والتي حاولنا فيها الوقوف عند أبرز الأنساق الثقافية ورصد ظواهرها المتنوعة سنقف عند أهم النتائج التي توصلنا إليها والتي يمكن إجمالها بما يأتي :

- عمدت المداخلة ذات المستوى النظري إلى بيان طبيعة العلاقة بين الجمالي واللاجمالي (الثقافي) إذ أنه لا يمكن للنقد الأدبي أن يموت، كما لا يمكن للنقد الثقافي أن يؤسس ولادته ومشروعيته على انقاض النقد الادبي . كما أن النص الأدبي واقعة ثقافية يتعانق فيها الجمالي (الخيال) مع الثقافي (الواقع) وتتفاعل فيها الذات الشاعرة مع واقعها الثقافي وتجربتها الانسانية .

- شكّل النقد الثقافي احد الافرازات النقدية لمرحلة ما بعد البنيوية ، وهو احد علوم اللغة وحقول الالسنية معني بنقد الانساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي، وهذه الأنساق تتكأ على مكوني اللغة والثقافة في بناء نظام من العلاقات الإشارية ، الامر الذي يجعل علاقة اللغة بالثقافة علاقة تأثر وتأثير .

- شكّل نسق الثنائيات الضدية في الخطاب الشعري عامة وفي الشعر الخارجي خاصة سمة بارزة تضفي على النص شحنة فنيةً عبر خلق انزياحات ذات سمة تنافرية تجمع بين المتناقضات في سياقات فنية مبتكرة ،وقد حاول شعراء الخوارج أن يستخدموا هذه الثنائيات بشكل منظم وغير عشوائي بغية الوقوف على وظائفها الدلالية والجمالية فتعاملوا معها برؤية معمقة، إذ واجه الشاعر الخارجي ثنائيات الحياة بكل اشكالياتها وجدلياتها، فحاول أن يؤسس رؤية يفسر من خلالها اسباب خروجه وتمرده على الشرعية والنظام والقانون، وطبيعة حياته وما فيها من حركة وتنقل وتحول ، من خلال الصراع الوجودي بين العوالم والأشياء المتباينة.

- شكّلت فكرة (الموت) عند الشعراء الخوارج سمةً بارزةً في خطابهم الشعري، وانفتحت على مجموعة من المقاربات الفكرية فشكّلت بؤرة دلالية تمحورت حولها آمال الشعراء. إذ ان لحظات الموت واقبال الخوارج عليه شكّلت ملمحاً ثقافياً في خطابهم الشعري

وانعكس ذلك على خياراتهم اللغوية وطرائق تشكيل لغتهم وبناء قصائدهم .

- شكلت الأنساق الضدية في الموضوع الشعري ملمحاً ثقافياً بارزاً ، فكان صراع الانسان مع الانسان واحداً من الأنساق التي قامت على إغناء دلالات النص من خلال أشكال الصراع الإنساني التي تضمنتها نصوص الخوارج الشعرية وتتمثل في فوقية الانثى/ دونية الفحل ، وغياب الانثوي/ حضور الفحولي .

- يعد صراع الانسان مع الزمن من الأنساق الثقافية التي حفل بها شعر الخوارج على مستوى الموضوع الشعري، إذ حمل هذا النسق ملامح ثقافية قائمة على اساس ما يطرحه الانسان الخارجي في حياته من موضوعات وما يواجه من صراعات من خلال خلق الأنساق الثقافية التي تعكس ثقافة الشاعر الخارجي كالليل ، والشيب ، والدهر .

- مثل الطلل في الشعر الخارجي نسقاً ثقافياً مهماً ، كونه يبرز حقيقة الألفة والانسجام بين الشاعر الخارجي وبين المكان، إذ يتحول المكان إلى ذاكرة حافظة للفعل الإنساني وأثره في المكان، ومن ثم يصبح الطلل نسقاً مولداً للأنساق الضدية التي تبيّن موقف الانسان ورؤيته للطلل.

الهوامـــــش :

1 - دليل النظرية النقدية المعاصـــــرة : د. بسّام قطّوس ، دار العروبة للنشر والتوزيع، ط1، الكويت، 2004 : 232.

2 - النقد الأدبي الحديث من المحاكـــــاة إلى التفكيك : د. إبراهيم محمود خليل ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، عمان – الاردن ، 2003: 139.

3 - ينظر : دليل الناقد الأدبي : د. ميجان الرويلي ، ود. سعـــد البازعي ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضـــــــــــــاء ، ط3، المغرب ،2002: 80.

4 - العصر الاسلامي : د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط11، القاهرة ،1989: 302.

5 - النقد الثقافي / قراءة في الانساق الثقافية العربيـــــــة : عبد الله الغذامي ، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء ، ط2، بيروت،2001: 83.

6 - ينظر: التراث النقدي العربي برؤيـة نقدية معاصرة / مقاربة ثقافية في نظرية الطبقات عند ابن سلام الجمحي : د. نوال بن صالح، مجلة المخبر، جامعة بسكرة- الجزائر: 212.

7 - جماليات التحليل الثقافي/ الشعر الجاهلي نموذجاً : د. يوسف عليمات ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط1، عمان – الاردن ، 2004: 35.

8 - النقد الثقافي / قراءة في الانســـــــاق الثقافية العربية عبد الله الغذامي : المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء ، ط2، بيروت،2001: 77 .

9 - جماليات التحليل الثقافي/ الشعر الجاهلي نموذجاً : د. يوسف عليمات ، المؤسسة العربية

للدراسات والنشر ، ط1، عمان – الاردن ، 2004: 36.
10 - بنية اللغة الشعرية : جان كوهن، تر: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر،الدار البيضاء ، ط2، المغرب،1990 : 9.
11 - قضايا الشعرية : رومان ياكبســـون، تر: محمد الولي ومبارك حنون ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ، ، ط1، المغرب ،1988: 32.
12 - ينظر : المصـــــــــــــــدر نفسه : 38.
13 - نقد ثقافي أم نقد أدبي ؟ : د. عبد الله الغذامي ، ود. عبد النبي اصطيف، دار الفكر العربي، ط1، دمشق،2004: 39.
14 - عصر البنيوية : إديث كريز ويل، تر : جابـــر عصفور، دار سعاد الصباح، ط1، الكويت، 1993: 411.
15 - مدخل إلى مناهج النقد الأدبي: تأليف مجموعة من الكتاب ، تر: د. رضوان ظاظا، مراجعة: د. المنصف الشنوفي ، سلسلة عالم المعرفـــــة (221) ،،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، 1997: 171.
16 - اللغة الشعرية / دراسة في شعر حميد سعيـــــــد : محمد كنوني، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد ،1997: 27.
17 - طرائق الحداثة ضد المتوائمين الجـــدد : تأليف : رايموند ويليامز ، تر: فاروق عبد القادر، سلسلة عالم المعرفة (246) ،المجلـس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، 1999: 222.
18 - الفاظ الحياة الثقافية في مؤلفات أبي حيان التوحيـــــدي: د. طيبة صالح الشذر، مطابع الاهرام التجارية ، القاهرة – مصـــــــــــــر ، 1409 هـ - 1989 م : ن .
19 - اللغة والثقافة/ دراسة انثرولغويـــة لألفاظ وعلاقات القرابة في الثقافة العربية : د. كريم زكي حسام الدين، دار الكتب العربية ، ط2، القاهرة، 2000: 100 – 101.
20 - التفاعل بين النص والقارئ/ علامات في النقـد : مالك سليمان، وولفغانغ ايزر، علامات في النقد، النادي الادبي الثقافي، ، جدة، مجلد 7، 1997: 220.
21 - شعر الخوارج : جمع وتقديم الدكتور إحسان عباس ، دار الثقافة ، ط2، بيروت، 1974: 57 - 58.
22 - المصدر نفسه : 108 – 109 .
23 - المصـــــــدر نفسه : 207 .
24 - المصدر نفســـــــه : 232.
25 - التكامل والتماثل في معلقة أمرئ القيس: جودت كسـاب ، علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي، جدة ، مجلد 11، 2002 : 577.
26 - شعر الخوارج : جمع وتقديم الدكتور إحسان عباس ، دار الثقافة ، ط2، بيروت، 1974: 118.

27 - المصدر نفسه : -192 193 .
28 – المصدر نفســــــه : 63.
29 - المصدر نفســــــه : 35.
30 - قراءة جديدة في مواقف الخـــــوارج وفكرهم وأدبهم : أحمد سليمان معروف ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، ط1، دمشق ، 1988: 27 .
31 - آثار الخوارج الشعرية : دراســـة تحليلية نقدية : عاصم شحادة علي ، وبدري نجيب زبير، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية ، عدد خاص ، سبتمبر- 2011 : 161.
32 - صورة المرأة في شعر الخوارج في العصـــر الأموي ، محمد دوابشة ، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) المجلد 21 (1) ، 2007 : 229.
33 - شعر الخوارج : جمع وتقديم الدكتـور إحسان عباس ، دار الثقافة ، ط2، بيروت، 1974: 193.
34 - المصدر نفسه : 206 – 207 .
35 - المصدر نفســــــه : 190 .
36 – جدلية الزمن : غاستون باشلار ، تر: خليل أحمد خليل ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط1، بيروت، 1982: 52.
-37 شعر الخوارج : جمع وتقديم الدكتور إحسان عباس ، دار الثقافة ، ط2، بيروت، 1974: 60.
-38 المصدر نفسه : 174.
39 – المصدر نفسه : 177-176.
-40 جماليات المكان : غاستون باشلار، تر: غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط2، بيروت، 1984: 31.
41 - ديوان الطرماح الطائي : تحقيـــق : عزّة حسن ،دار الشرق العربي، ، ط2، بيروت،1994: 52.
42 - شعر الطرماح بن حكيم الطائي دراسة موضوعية وفنية، فتحي محمد طالب المسيعدين، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة 2007: 67.
43 - ديوان الطرماح الطائي : تحقيـــق : عزّة حسن ،دار الشرق العربي، ، ط2، بيروت،1994: 195.